ضحايا الوالدين والمنزعمين
في القرن العشرين

لشاهد عيان

— ١ —

في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني من سنة ١٩٢٤ ، زُفت في بغداد فتاة مسيحية الى شاب مسيحي ايضاً ، وكلاهما من عائلتين غنيتين معروفتين ، وقد تمّ اقترانهما بدون معرفة سابقة ببعضهما ولا عن هوى زوجي ، ولا عن تحابّ جنسي ، بل كان اشبه بجناية اقترفها اهالي الطرفين على العريسين ، وذلك لمآرب شخصية ومطامع اشعبية وعادات سقيمة لا محل لسردها هنا فضلاً عن ان كل شرقي يعرفها كما ان كل غربي قد سمع بها عنا

اقترن الزوجان وفي قلب كل واحد منهما نفرة من صاحبه ، ورأى كل منهما فراش الزيجة اشبه بمذبح مريع ضحته عليه اهواء اهليه ، فصبرا مرغمين وأرغما صابرين ، ظانين ان الايام ستسعد حياتهما وان المحبة ستنشأ في قلبيهما على تمادي الزمان فيزول كربهما الوقتي ويحل محله هناء ابدي

ولكن فاتهما ان المحبة الزوجية لا تولد بعد الزواج وان الحب

ليس ثوباً يلبسانه في ساعة عرسهما بل ليس في مقدور الكاهن ان يسكبه عليهما عند ما يبارك اكليلهما . نعم لقد فاتهما ان المحبة الزوجية هبة سماوية وانها تنمو قبل الزواج وتتأصل قبل بركة الاكليل ، بل ان الطبيعة قد حتمت ان يكون الشاب والشابة حبيبين طاهرين قبل ان يصبحا زوجين مقترنين

أجل ان المحبة الزوجية تولد بالتعارف وتنمو باتفاق اميال الطرفين وتثمر بالاقتران الزوجي الحقيقي ، واذا لم تكن كذلك فما علينا الا ان نعمل بمشورة الشاعر العبقري الاستاذ الرصافي العراقي القائل :

واذا الزواج جرى بغير تعارفٍ
وتحابٍّ فالخير ان نترهبا

— ٢ —

مضت الايام والاسابيع وحالة الزوجين لم تتغير عما كانت عليه يوم زواجهما ، بل تفاقمت تعاسةً وشقاءً ، فتجلى التباغض بينهما وساد التشاحن في عيشهما وحلّ الشقاء في دارهما ثم النزاع فالتشاتم فالتضارب فالافتراق . . .

افترق احدهما عن صاحبه ، وكلٌّ منهما يلعن ساعة اقترانه بالآخر ويصب جامات غضبه وسخطه على من صار سبب شقائه

وتعسه ، ولكن سبق السيف العذل ، وتلك كانت مشيئة الاقدار بل قل جناية الوالدين ، ويا ما اكثر امثال هذه الجنايات في الشرق عامة والعراق خاصة حيث بعض العادات السقيمة مرعية مقدسة واهواء المتنفذين والمتزعمين محترمة ومباركة . ! أجل ، يا ما أفظع امثال هذه الجنايات في بعض اطراف العراق حيث تباع الفتاة بيع السلع وتقاد الشابة الى الزواج كالشاة الى المجزرة ، والويل لها اذا تظلمت او تشكت ، بل الويل لها اذا بكت وانتحبت ، بل الويل ثم الويل لها اذا لم تتظاهر بالرضا والانشراح ! . . .

افترق كلا الزوجين المنكودي الحظ وعاد كل منهما الى منزل والديه ، وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر آذار من السنة عينها اي بعد مرور ما يقارب الشهرين فقط على زواجهما

- ٣ -

في اوائل شهر نيسان من تلك السنة ظهر للزوجة المسكينة انها حامل ، فكتمت حبلها عن والديها وذويها ، وكانت تختلي دائماً بنفسها ولا تفارق غرفتها الا نادراً ، وهناك كانت تندب حظها في الخلوة ، وتصعد الزفرات المرة الى باريها ، بل انها كانت تحيي الليالي ساهرة وتناجي النجوم والافلاك ساهدة . كانت تحسد الميت المنضجع هادئاً في قبره ، والحمامة الهاجعة بامانٍ في

وكرها . وكم تمنت لو لم تولد على هذه الارض ولو لم تر نور الوجود !

كانت المسكينة تذرف العبرات السخينة بالصمت وترفع الحاظها الى السماء متظلمة قائلة : « ربي ! ما الذي جنيته حتى اشقيتني ، أللعذاب والهلاك خلقتني ؟ ربي ! ما الذي اثمت به حتى سمحت بسحقي وجعلي موضوعاً للسخرية والعار ؟ فلمَ لا تعجل في قطع حبل حياتي فاخلص من العذاب الاليم ؟ ربي ! ما ذنب الجنين الذي أحمله في بطني ، كأن ما اقاسيه من العذاب لا يكفيني حتى تكوّن شخص ثانٍ من دمي ولحمي لكي يولد شقياً وارى شقاءه ! العل بؤسي لم يكن كافياً فنشأ من مهجتي مخلوق آخر لكي أرشق برمحين واموت في كل دقيقةٍ مرتين ! ألا ياربي مهلاً ورفقاً ! اني دودة حقيرة امامك ، فغض طرفك عني واغفر لي سيئاتي ولا تحسب لي اثماً كوني تظلمت اليك ! فعفواً ورفقاً يا رب ! . . .

- ٤ -

اما الزوج فكان كالاسد الهائج ساخطاً على الطبيعة ، غاضباً على والديه ، لاعناً حظه . كان في النهار كالأبله المعتوه لا يعي الى امر ولا يدري كيفية القيام باشغاله ، وكان في الليل لا يغمض له جفن ولا يهدأ له خاطر وهو يجهد قريحته في كيفية الخروج

من هذا المأزق الحرج او التخلص من شقاء حياته او الانتقام ممن شارك والديه في جنايتهما عليه ، حتى ذبل غصنه بعد ان كان غضاً ونحل جسمه بعد ان كان مملوءاً حياةً ونشاطاً

وفي ذات ليلة داهمته الهموم فوق العادة وتراكمت عليه الغموم فوق طاقته ، ففكر هنيهة في ان يدع بركان غضبه ينفجر على والديه ولكن احترامه العظيم لهما صده عن ذلك ، وتذكر ان يداً غريبة لعبت من وراء الستار في عقلية والديه وانها السبب الوحيد في انحطاط مداركهما ، وتحقق ان صاحبها هو الذي مهد سبيل زواجه على هذه الصورة الفظيعة كما اعتاد ذلك من قبل ...

كظم غيظه تلك الليلة وصبر حتى انبلج فجر اليوم الثاني ، فغادر منزله عند شروق الشمس وقصد الى الكاهن الذي بارك اكليله وابتدره بالعتاب المرّ على مشاركة والديه في العمل على اشقائه

فقال له الكاهن : وما هو ذنبي يا ولدي وقد صرحت لي عند عقد الاكليل انك تريد الفتاة زوجةً لك ، وصرحت هي انها تريدك زوجاً لها ؟

اجابه الشاب بحدة وجرأة نادرتين في مثل هذه البلاد ، وقال له : انكم ما بالكم تتدخلون في مسائلنا الزوجية بصورة منكرة لا مثيل لها في سائر البلدان ، ثم لا تعنون الا بالظواهر ، فتكتفون

بلفظة « نعم » تخرج من بين شفتي كل من العريسين قهراً واغتصاباً ، او حياء وخجلاً ، وفي النادر عن رضا واقتناع ، وفي الاغلب على سبيل العادة والعرف ؟ فلا تسعون السعي الحثيث — وانتم قادة الافكار — الى القضاء على العادات السقيمة المضرة وافهام العريسين اهمية هذه اللفظة الصغيرة وما يترتب عليها من المسؤولية العظمى ، ولا تبينون لهما القيود الضخمة القوية التي تقيد الطرفين طول حياتهما ، ولا تبحثون فيما اذا كان العريسان المسكينان مرغمين او راضيين او غير متنورين ، بل تكتفون بالكلمة الرسمية التي يصدر على اثرها الحكم الماضي اما بالشقاء الابدي وهو الامر الجاري غالب الاحيان واما بالهناء الوقتي وهو اندر من النادر ! لقد كان من الواجب عليكم ان لا ترضوا بالظواهر في مثل هذه الامور العظيمة الجدية ولاسيما وان الحوادث المؤلمة تتكرر يومياً وانتم ترونها بعيونكم ، وتتعب قلوبكم بسببها ، وتتألم افئدتكم من اجلها .. كأنكم لا تفكرون الا في اخذ اجرتكم الدرهمية من العريسين او في التفاخر بتسجيل عقد قران زائد في سجلاتكم او في غير ذلك مما لم ينزل الله به من سلطان ! انكم بصنيعكم الفظيع هذا تأتون منكراً ثم تندبون في خلواتكم حظ شبان وشابات في مقتبل العمر وذلك تحت ستار الواجب والدين ! فاذا طلبت

اليوم منكم ان اطلق امرأتي، اجبتموني : « لا يمكن ذلك ابداً ! »، واذا عزمت على الانتماء الى دين آخر لبلوغ غايتي الحقة هذه ، قلتم : « ان ذلك جرم فظيع لا يغتفر ! » ، واذا ذهبت فانتحرت لا تخلص من هذا الشقاء ، تمتمتم بازدراء : « يا لتعسه ، لقد هلك في جهنم النار ! » ، وليس هنالك من يقوم ويبكتكم ويسوقكم الى القضاء لانكم انتم الذين احرجتموني فاخرجتموني ، ولانكم انتم الذين صرتم سبب هلاكي وانتحاري ! ...

ـ مهلاً ياولدي ! اراك تتعدى حدودك !..

ـ بل مهلاً انت ايها الكاهن ! فان المسيح اراد ان يكون الاكليروس نوراً للعالم وهو الآن هنا ظلمة وديجور ! اراد ان يكون الاكليروس ملحاً للارض وهو الآن هنا لا يصلح لشيء ! انكم في العراق لاتزالون تستعبدون رعاياكم وتزيدون احمالهم ثقلا فوق ثقل ولاترغبون في ان تحركوها باصبعكم اي لاتريدون تنوير افكار رعاياكم وافهامهم الواجبات الزوجية التي هي اعظم واجبات المرء بل هي محور حياته الوحيد ! فيظل الناس هنا عامهين في جهلهم ومتمسكين في ديجور تقاليدهم ولا تريدون كف ايديكم عن التدخل في مسائلهم العائلية فتأتي اعمالهم كاعمال والديّ اي ظلماً وجناية بل اشبه بحكم الاعدام ! نعم اني الآن محكوم عليّ بالاعدام

ويا ليتني أعدم الآن ، ولكني اراني محكوماً عليّ بالشقاء المؤبد ! فتكلم الآن ايها الكاهن وقل لي ما يجب عليّ عمله . . . (١)

آه ! أراك ساكتاً اي عاجزاً عن ايجاد بلسم لجرحي البليغ ! أراك مصفر اللون وممتقع الجبين كانك اصبحت تقدر مسؤولية اشتراكك في جريمة والديّ ! آه ! كفى ! فالى الملتقى يوم الدين ! « يتبع »

مسامرات السيدات

اعادة الشباب الى النساء

من اخبار نيويورك ان الاستاذ بول كامرير العالم النمسوي الشهير في علم الحياة صرح بان زميله الاستاذ ستيناخ ابتكر نوعاً جديداً من المعالجة لاعادة الشباب الى النساء وقد اسفرت التجارب التي جربها حتى الآن عن نجاح باهر فبلغ عدد اللواتي استردن شبابهن ٧٥ في المئة من اللواتي عالجهن ومما قاله الاستاذ كامرير ان في استطاعة زميله ان يعالج كل جزء من اجزاء الجسم على حدة

وقد ايد الدكتور هاري بنيامين الاميركي اقوال الدكتور كامرير قائلاً انه كان اخيراً في فينا وزار عيادة الدكتور ستيناخ

(١) اذا كان كلام هذا الزوج المتألم صواباً فليتعظ به اكليروسنا العراقي ، اما اذا كان خلاف ذلك فليعتده صرخةً في واد ولا يدعن الحنق والسخط يجدان الى قلبه سبيلاً « شاهد عيان »